إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة السابعة ـ العدد الثامن والعشرون ـ شتاء ١٣٩٦ش / كانون الأول ٢٠١٧م
صص ١٥٢ ـ ١٠١

الترميز فى الشــعر الفلســطينى المقاوم؛ مجموعــة العصف المأكول الشعرية أنموذجا

عباس يداللهى فارسانى*

الملخص

يستهدف البحث دراسة ظاهرة الترميز بمستوياته المختلفة فى الشعر الفلسطينى المقاوم. يحاول أدب المقاومة إزالة الستار عن وجه العدو الغاشم والكشف عن خباثته واضطغانه ضد الشعوب المضطهدة. ومن هنا يسعى بكل ما لديه من الإمكانيات والطاقات اللغوية التعبــير عمّا ألمّ بالشــعوب من مؤامرات ودســائس. فالتجأ إلى لغــة الترميز والإبانة غير المباشــرة خوف التعذيب والنكال.استخدم الشاعر الفلسطينى تقنية الترميز كأداة ناجعة للتعبير عن المواقف الفكرية والمشــاعر والأحاســيس المكبوتة وتصوير ما حلّ بالبلد من تعســف الكيان الصهيونى وما قام به من مؤامرات وممارسات إجرامية بحقّ الشــعب المضطهد. تمّ إعداد هذا البحث وفق المنهج الوصفى التحليلى معتمدًا فيه على المصادر الأدبية فى مجال الشــعر الفلســطينى الحديث خاصة المدونة الشعرية المسماة بـ"العصف المأكول" بأسرها التى تشتمل فى طياتها على عدد غير قليل من المقطوعات الشعرية المختلفة التى حاول الشعراء الفلسطينيون من خلالها تصوير المأساة الفلسطينية والإفصاح عمّا ألمّ بهذا الشــعب من ممارسات عدوانية ومجازر بشعة. استخدم الشعراء تقنية الترميز كأداة طيعة للتعبير عما خامرهم من أحاسيس ومشاعر داخلية وما انتابهم من مشــاعر حزينة ومؤلمة.من ثمّ تنوعت وتشــعبت مصادر الرمز لديهم من التاريخية، والدينية، والطبيعية، والأدبية. أخيرًا خلص البحث إلى أنّ عملية الترميز فى هذه المدوّنة الشــعرية تنطوى على أغراض أساسية وهامّة، منها التأثير فى المتلقّى وإثارة مشاعره وخلق الوجدان المشترك تجاه المحاور الواردة فى خارطة النصّ الشعرى.

الكلمات الدليلية: الشعر الفلسطينى الحديث، الرمز، الكيان الصهيونى، قضية الاحتلال، العصف المأكول.

---

*. أستاذ مساعد فى اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد تشمران، أهواز، إيران
farsiabas@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٦/٨/١٨ش تاريخ القبول: ١٣٩٦/١٢/٢ش

مقدمة

تعتبر المقاومة أو حركة الانتفاضة التی قام بها الشعب الفلسطینی ضد الاعتداء الإسرائيلی من أهمّ الراوفد الفكرية والأدبية التی أثرت الأدب الفلسطینی فی كافة مستوياته الفكرية والحضارية وأخصبته. طبعًا إنّ قضية الاحتلال والمأساة الفلسطينية فتحت آفاقاً رحبة أمام الشعراء والكتاب فی الأدب الفلسطينی الحديث، ومن ثمّ جعل أدب المقاومة والصمود ضمن الفروع الأدبية السامية والإنسانية التی شعر بها هذا الشعب بكل وجوده وجعله يعبر عن كوامنه وأحاسيسه بكل ما لديه من طاقات لغوية وإمكانيات فكرية لرفض القهر والظلم الخانق والزيف. فالذی لا شک فيه أنّ هذا النمط من الأدب يعمد إلی التحرير واستعادة كل ما سلب الشعوب والأمم والخلاص من نير الاستعباد والاستغلال.

إذا أمعنا النظر فی أدب المقاومة بين الشعوب المختلفة نجد أنّ هذه الشعوب تخلّصت من نير الاحتلال والنكبة ونهضت بنفسنا من القهر والسلب، إلاّ أنّنا نجد أنّ فلسطين حاولت من سنة ١٩٤٧م إلی يومنا الراهن التخلص من الاحتلال الصهيونی، فمن هذا المنطلق ظلّت المقاومة من أهمّ محاورها الشعرية وصارت موضوعاً شعرياً مستقلاً ضمن المقطوعات الشعرية وظهرت من خلالها فنون شعرية مستحدثة كأدب الطفل،أدب الرحلة والنزوح، أدب اللجوء.إذن،يتمحور معظم القصائد والمقطوعات حول التضحية والبطولة والشهادة والتحرير.

عمد الشاعر الحديث إلی توظيف تقنية الرمز فی اللغة الشعرية لما فيها من تبادل مجالات الإدراک بين المحسوس والمعنوی وإخفاء المعنی، فمن هنا شعف بها وأعطی لها دوراً بارزاً فی النسيج الشعری، وحاول من خلالها التعبير عن التجربة الشعرية والمقدرة اللغوية والبراعة فی التعبير.انطلاقاً من هذا الموقف،يعتبر الرمز من الوسائل الفنية التی تمّ توظيفها فی الشعر العربی الحديث توظيفاً بنائياً لكی يجعل الشاعر يعبّر عن مواقفه وأفكاره ليحدث تواصلاً جديداً بينه والمتلقّی.بغضّ النظر عن ظاهرة الترميز فی الشعر العربی الحديث بصورة عامّة والشعر الفلسطينی الحديث بصورة خاصة، إنّ ما يسترعی الانتباه أنّ هذا التوظيف أصبح من ضروريات التعبير الفنی وأدواته الطيعة

حیث عجزت اللغة المباشرة والصریحة عن تعمیق الفکرة وخلق فهم مشترک بین الشاعر والمتلقّی.

رمی شعراء المقاومة إلی توظیف هذه التقنیة للتعبیر عن قضیة الاحتلال والمأساة الفلسطینیة للتعبیر عن معاناة قومیة وتجارب إنسانیة مکثّفة وتصویر ما حلّ بالبلد من ویلات ونکبات،ومن ثمّ فتحت هذه الأداة التعبیریة آفاقاً جدیدة فی الشعر الفلسطینی الحدیث وشحنته بطاقات حیویة ودلالات حیّة ترقی بالأدب الفلسطینی إلی مستویات علیا حیث تمکنه من تکوین صور إیحائیة تنطوی علی شحنات عاطفیة ونفسیة وفنیة.

سوف نحاول بعونه تعالی فی هذه الدراسة تحلیل الأنماط المختلفة لتقنیة الرمز فی المجموعة الشعریة المسماة بـ"العصف المأکول" التی تنطوی علی مقطوعات شعریة فی أدب المقاومة معتمدین علی المنهج الوصفی التحلیلی. تضمّ هذه المجموعة الشعریة بین دفتیها عدداً غیر قلیل من القصائد التی تثیر فی کیان الإنسان الحماسة ولواعج الانتماء إلی الهویة الإسلامیة والذبّ عن التراث الدینی والإسلامی التلید تجاه العداون الصهیونی من جانب،ومن جانب آخر حاول الشعراء من خلالها تصویر ما حلّ بالشعب الفلسطینی من التقتیل وإهراق دماء الأبریاء والتشرید من النساء والأطفال.لا ریب أنّ شعراء المقاومة فی هذه المدونة الشعریة حاولوا تدویل القضیة الفلسطینیة وإخراجها من نطاق قومی ضیق وذمّ الشعوب المسلمة التی تقاعست عن نصرة الشعب الفلسطینی.

أسئلة البحث

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن أهمّ الأسئلة التی تخامر المتلقی ضمن البحث، ومن أهمها ما یلی:

١-لماذا عمد الشاعر الفلسطینی المقاوم إلی توظیف الرمز ضمن خارطة النصّ الشعری؟

٢- کیف وُفّق الشاعر عبر النسیج الشعری توظیف التقنیات المختلفة للرمز التی تنسجم مع الغرض الذی رمی إلیه؟

٣- ما العلاقة الوطیدة بین الرمز وما ألمّ بالشاعر الفلسطینی من الواقع المحیط به؟

٤- ما هو أبرز مستویات الترمیز ومصادره ضمن المجموعة الشعریة المسماة

بالعصف المأكول؟

٥- ما الصلة بين الهوية الإسلامية وقضية النكبة من جانب، وتوظيف الرمز فى ثنايا المقطوعات الشعرية من جانب آخر؟

خلفية البحث

لم يتطرق الباحثون والدارسون إلى دراسة الرمز وعملية الترميز فى هذه المجموعة الشعرية المسماة بالعصف المأكول ولم تجر دراسة مستقلة قائمة بذاتها فى هذا الموضوع،وهذه أول دراسة أجريت فى مجال تقنية الترميز فى هذه المدونة الشعرية لتسليط الأضواء على الأنماط المختلفة للرمز فى الديوان ومصادره المتضاربة.لقد عالج جمّ غير قليل من الكتّاب والباحثين دراسة الشعر الفلسطينى من جوانب وزوايا مختلفة،إلاّ أنّهم لم يتناولوا قضية الترميز ومستوياته المختلفة وما تحمل من معان ودلالات فى المجموعة الشعرية المسماة بالعصف المأكول.

من أهمّ الدراسات التى تمّ نشرها حول هذه المجموعة الشعرية ما يلى:

١- ألفاظ النصر فى ديوان العصف المأكول دراسة لغوية. جهاد يوسف إبراهيم العرجاء وعباس يداللهى فارسانى. مجلة دراسات الأدب المعاصر. جامعة جيرفت. العدد السادس والعشرون. السنة السابعة. ١٣٩٤. صص ٣٢-٩.

تطرق الكاتبان فى البحث إلى دراسة الألفاظ التى تدلّ على معنى الانتصار فى هذه المدونة الشعرية ومقارنتها بنفس المعنى الذى ورد فى القرآن الكريم.

٢- التناص القرآنى فى ديوان العصف المأكول. محمد مصطفى كلاب. مجلة الجامعة الإسلامية. غزّة. فلسطين. مج ٢٤. العدد الثانى. ٢٠١٦م، صص٤١-٢٣.

عالج الكاتب ضمن المقال قضية التأثير القرآنى فى إثراء النص الشعرى ضمن هذه المدونة الشعرية.

٣- الرموز التاريخية والدينية والأسطورية فى شعر محمود درويش. محمد فؤاد السلطان. مجلة جامعة الأقصى(سلسلة العلوم الإنسانية)، مج٤، العدد الأول، ٢٠١٠م، صص ٣٦-١.

تناول الكاتب فى هذا المقال تأثير المصادر الثلاثة فى شـعر محمود درويش بوصفه رائداً لشعر المقاومة ودور هذه المصادر فى بثّ فكرة المقاومة.

٤- موتيف الأشجار فى شعر محمود دوريش، دراسة إحصائية وتحليلية بين النخل، والزيتون والبرتقال.كبرى روشـنفكر، خليل بروينى، حامد بورحشـمتى. مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها. العدد ٤٣، ٢٠١٧م، صص ٧٦-٦٥.

عالج الباحثون فى هذا المقال تأثير هذه الأشـجار الثلاثة فى إنتاج المعنى ودورها فى تقويم النص الأدبى.

٥- التكرار فى الشـعر الفلسـطينى الحديـث (مجموعة العصف المأكول الشـعرية نموذجًا). عباس يداللهى فارسـانى ومحمود شـكيب أنصارى. مجلة إضاءات نقدية فى الأدبين العربى والفارسـى. جامعة آزاد الإسلامية. كرج. (إيران). السنة السابعة. العدد ٢٦، حزيران ٢٠١٧م، صص ٨٤-٦١.

عالج الباحثان فى هذا المقال الأنماط المختلفة لتقنية التكرار ودورها فى إنتاج المعنى فى الشعر الفلسطينى المعاصر. سوف نحاول بعونه تعالى فى هذا البحث دراسة توظيف الرمز عبر هذه المجموعة الشـعرية المذكور أعلاها، وسـنبيّن أنّ شعراء المقاومة حاولوا عبر توظيف الترميز تصوير ما حلّ بالبلد من ثورات ونكبات والتعبير عن الأحاسيس والمشاعر المكبوتة والهواجس الدفينة وإزالة الستار عن وجه العدو الشرس وما قام به من دسائس وممارسات إجرامية بشعة ومجازر ضدّ الشعب المسلم.

منهج البحث

تمّ إعـداد البحث على أسـاس المنهج الوصفى التحليلى معتمـدًا فيه على المصادر الأدبية فى الشـعر الفلسـطينى الحديث خاصة ديوان "العصف المأكـول" لتحليل تقنية الرمز ونماذجها المختلفة فيه.

نظرة إلى ظاهرة الرمز فى الشعر العربى الحديث

يعتـبر مصطلح الرمز من المصطلحات التى تعـددت تعاريفها كما تنوعت واختلفت

مصادره،إذ تباين موقف النقاد فى تحديد أنواع الرمز.فعلى سبيل المثال قسم أرسطو الرمز حسب الوظيفة إلى ثلاثة أنواع: الرمز النظرى أو المنطقى، الرمز العملى، والرمز الشعرى أو الجمالى (جودة نصر، ١٩٧٨م: ١٩) وأمّا "أبرامز" فقد قسمه إلى الرمز التقليدى أو العامّ والرمز الخاص أو الشخصى. (هانى، ٢٠٠٦م: ١٩) نالت قضية الرمز فى النقد الأدبى الحديث اهتماماً كبيراً من قبل النقاد، فكل ناقد يحدده حسب رأيه وموقفه ووجهة نظره.

إذا تأملنا فى مصادر الرمز وينابيعها فى الشعر العربى الحديث نجد أنّ المعجم اللغوى يرأس هذه المصادر، فالشاعر الحديث على ثقة بأنّ المفردات اللغوية تنبغى لأن تكون رمزاً دون أى فرق بينها، ومن ثمّ يأخذ اللفظة من معناها الاصطلاحى. المصدر الثانى هو التراث الدينى بأكمله،ويتخذ الشاعر الحديث الدين والثوابت العقائدية أداة فعّالة للتعبير عن المعاناة الشخصية وموقفه الخاص تجاه الوجود والميتافيزيقيا. المصدر الثالث هو الأسطورة حيث تمتع به الشاعر للإبانة عن مخزونه المعنوى ليضفى عليه نمطاً من دلالات جديدة لتجسيد المعاناة والتجربة الذاتية كالإفصاح عن الاغتراب وفلسفة الوجود. المصدر الرابع هو التاريخ والوقائع التاريخية لخلق مواقف جديدة تنسجم مع عصره والظروف المحيطة به ليتعامل معها متخذاً منها رموزاً قادرة على الإيحاء بغية خلق معادل موضوعى لنفسه.

المصدر الخامس المكونات الطبيعية كرموز للحياة النفسية ليُلبسها الشاعر ثوباً إنسانياً حيّاً ينبض بالحيوية والنشاط معتمداً على ميزتى التجسيد والتشخيص.

وأخيراً الواقع وما فيه من أحداث حياته الواعية واللاواعية وهو نفس الشاعر الحديث الذى يكتظ بالمواقف العصرية وأهواء ورغبات منشودة ومكبوتة.

مكانة الرمز فى الشعر الفلسطينى الحديث

وجد الشاعر الفلسطينى فى الرمز أداة ناجعة ووسيلة مؤثرة فى الإفصاح عن المعانى والمشاعر والأحاسيس الدفينة التى تعجز اللغة التقريرية المباشرة عن فهمها وإدراكها والتعبير عنها. لا ريب أنّ توظيف الشاعر للرموز يعدّ من أهمّ المرتكزات الفكرية

والروافد الثقافية التي تدلّ على سعة تجربته الشعرية والعلاقة المزدوجة بين التراث وخارطة النص من جانب،وبين الشاعر والمتلقّي من جانب آخر. إذن، فهذه العملية، أعني توظيف الرمز، تمنح الشاعر قدرة فائقة وهائلة على فهم التجربة الإنسانية التي تعدّ أساسًا لتصوير التجارب الذاتية التي عاناها طيلة الحياة. اتخذ الشاعر الفلسطيني من الرمز أداة طيعة ومنفذًا مؤثرة لترسيم الواقع المؤلم والمحيط به بأسلوب الإيحاء والإشارة غير مباشر لإيصال الرسالة الشعرية والمهمّة العظيمة التي أخذها على عاتقه تجاه الشعب المضطهد.

لم يكن تبلور الرمز في الشعر الفلسطيني الحديث اعتباطيًا ومحاكاة وتقليدًا،بل كان تلقائيًا يحمل في طيّاته التجارب الشخصية والذاتية، والأغراض القومية والشعبية و... ظهر الرمز في بنية القصيدة والمعطيات الأدبية إثر ضرورة واقعية ساقت الأدباء والشعراء مساق توظيفه كأداة للكشف عن مواقفهم وتقديم رؤاهم الفكرية والدينية والثقافية.كانت قضية الاحتلال الصهيوني وما قام به من قتل وتدمير وممارسات إرهابية مشينة والمجازر البشعة وفرض الحصار الثقافي وملاحقة المناضلين، وتحديد إقامتهم، من أهمّ البواعث التي دفعتهم نحو توظيف الرمز في الشعر الحديث.استطاع الشعراء والكتاب الفلسطينيون استخدام الرمز رغم هذه المصائب الجمّة لتصوير ذلك الصراع المحتدم بين الشعب الفلسطيني والكيان الصهيوني، حيث يمكن القول إنّ الرمز نمط من أنماط السلوك الفني في ترسيم الحقيقة النابضة بالحياة وتخطي الرقابة من قبل النظام القائم.

مستويات الرمز في الشعر الفلسطيني المقاوم

إنّ المتأمل في الشعر الفلسطيني المقاوم يجد أنّ الشاعر يستلهم الرموز التي يعهدها مستمدًّا إيّاها من التراث الإنساني بشكل عام،والتي تحمل دلالات معينة كالرموز التاريخية والأسطورية والتراثية. يستعيد الشاعر المقاوم هذه الرموز ليكسبها طاقات إيحائية جديدة ويبرزها في ثوب قشيب ينفخ فيها الروح فتتماهى مع نصوصه الشعرية متخذاً إيّاها قناعاً يعبر من خلالها عن المواقف الفكرية والهواجس المكنونة والمشاعر

المكبوتة. نجد الشـــاعر أحياناً يعمد إلى توظيف الرموز الخاصة ليرتقى بها إلى مستوى إنســـانى أشمل والتى ضربت جذورها فى البيئة الفلســطينية خاصة ومن ثمّ سجّل بهذا الاســتخدام تطوراً ملحوظاً فى أدب المقاومة بهذه المنطقة.من أهمّ هذه الرموز الخاصّة النخلة، الحجر، الصاروخ، الطفل، والرموز المكانية كـ"حيفا" و"رفح"و...فشــاعر المقاومة عندما يعمد إلى توظيف كلمات كالبحر، الياسمين، والجفاف و... فإنّه يســتخدم كلمات تمثّل معنى ذات دلالة شعورية خاصّة وأبعاد إيحائية. من هنا تمتّ هذه المفردات البسيطة بصلة وثيقة إلى كل ما يعانيه الشاعر من تجارب شعرية تمنح الأشياء فحوى خاصة.

شــغلت هذه الرموز حيزاً كبيراً فى المتن الشعرى،وهذا ليس بشىء غريب فقد تغنّى معظم الشــعراء فى هذا المجتمع الإنســانى بالثورة والنضال المستمر من أجل استعادة الأرض المســلوبة،ونراهم يتغنّون بالوطن ومآثره وماضيه المشرق وما آل إليه الأمر بعد الاحتلال الصهيونى. إذن هــذه الرموز الخاصة تضاريس الواقع الثورى الذى ينبع من نفسية الشاعر إلى خارطة القصيدة من خلال وعى الشاعر بالوطن،فنراه يتخطّى خطوة جديــدة فى التعامل مع الرموز فضلاً عن وجود المجال الرحب والفضاء المتســع ضمن القصيدة الفلســطينية الحديثة فى توظيف الرموز الخاصة التى تخصب التجارب الشعرية والشــعورية حيث تبعد القصيــدة عن الذاتية.هذه الرموز الخاصــة هو التعبير الواضح عن المشــاعر والأحاسيس التى يرغب الشــاعر الإبانة عنها،ومن ثمّ تعدّ تعبيراً صادقاً وحقيقياً عن التطورات الاجتماعية والسياسية التى يعيشها الشاعر.

مصادر الرمز فى الشعر الفلسطينى الحديث

تنوعت وتشعّبت مصادر الرمز فى الشعر الفلسطينى المقاوم ما بين الدينية، التاريخية، الطبيعية، الأدبية والبيئة الثقافية والفكرية التى ترعرع فيها الشــاعر الفلســطينى. نهل الشــاعر من هذه الينابيع الثرّة واســتقى معظم محاوره الفكرية منها لتســليط الأضواء على واقعه المؤلم (سواء واقعه الخارجى المحيط به،أم الواقع النفسى وما فيه من مشاعر وأحاســيس ورؤى) لتعميق تجربته الشعرية والشــعورية والتأثير على المتلقى وإشراكه فى البوح بالمكنونات الدفينة والمشــاعر المكبوتة. وذلك لما تحمل آلية الترميز من أبعاد

دلالية وفنية ترقى بالشعر إلى مستويات سامية حيث تجعله قريباً من نفس المخاطب.

ديوان العصف المأكول في سطور

لايزال الشعر منذ أقدم العصور ذلک الوقد الجزل للشعراء والمتكلمين الذى ساعدهم على تعبير أحسن وأدقّ عمّا يجرى حولهم من أحداث ووقائع بغية تحريض المتلقى وتشويقه وإيقاد الحماسة فى الصدور.عمل الشعراء الفلسطينيون فى عصرنا الراهن فى مجال التوعية والتبصير ضدّ ما قام به الكيان الصهيونى فى العالم والمنطقة من جرائم الحرب والمؤامرات والدسائس ضد الشعوب المسلمة خاصة الشعب الفلسطينى المضطهد.من ثمّ استخدموا فكرة المقاومة لصدّ هذه الهجمات العنيفة فى العالم الإسلامى وكان لغة الشعر من أهمّ الوسائل والأدوات الطيعة فى هذا المجال.قامت رابطة الكتّاب والأدباء الفلسطينيين فى غزّة بتجميع القصائد التى قيلت فى معركة العصف المأكول (٢٠١٤م) وأصدرتها فى ديوان يحمل اسم المعركة (ديوان العصف المأكول). لقد قام المناضلون الفلسطينيون بعدّة هجمات عنيفة وحروب طاحنة ضدّ الكيان الصهيونى حيث اشتهرت منها ثلاثة حروب،الأولى حجارة السّجّيل (٢٠٠٨م)، والثانية الفرقان (٢٠١١م)، وأخيرًا العصف المأكول (٢٠١٤م)، وهذه الحرب الأخيرة هى التى أثخنت فى العدو الغاصب وفيها لحق المناضلون للعدو بالخسائر الفادحة فى الأرواح والأموال، ومن هنا هذه المجموعة الشعرية تصوير حقيقى لتلك البطولات والانتصارات.

أنماط الرمز فى ديوان العصف المأكول

لم تتبلور الرموز بكافّة مستوياتها فى هذه المجموعة الشعرية بشكل عشوانى واعتباطى، بل استقى الشعراء معظم محاورهم الشعرية من الواقع المحيط بهم للإبانة عن تجربتهم الانفعالية التى يعانون والتى تتلائم مع الموقف الذى يريدون التعبير عنه. من ثمّ اختاروا الرمز بعناية واهتمام كبير.وفق الشاعر فى عملية انتقاء الرموز بحيث تتلاحم مع حالته النفسية والانفعالية للإفصاح عن حنكته فى اختيار مكونات رموزه وإتقانه على اختيارها وبنائها حيث تستطيع الرموز على تفجير الطاقات وتصوير الآفاق

الجديدة الرحبة. سوف نحاول بعونه تعالى فى هذه الدراسة الكشف عن أهمّ مستويات الرمز ضمن هذه المدونة الشعرية قدر المستطاع.

يتبـين لنـا من خلال هـذه المجموعة الشـعرية أنّ مصادر الرمز ومسـتقاه تنوعت وتضاربت، فشـعراء المقاومة حاولوا توظيف رموزهـم المختلفة من المصادر المتضاربة كالدين، والتاريخ، والأدب والواقع، كما اختلفت العناصر التى اسـتقوها من كل مصدر من هذه المصادر ما بين أماكن،أحداث،شـخصيات وغيرها. من أهمّ الرموز المستخدمة ضمن هذه المجموعة الشـعرية ما يلى: الرمـز الدينى، والرمز التاريخى، والرمز الأدبى، والرمز الواقعى والرمز اللونى.

الرمز الدينى

اسـتطاع الشـاعر الفلسـطينى من خلال توظيف الرموز الدينيـة أن يقيم الصلات الوثيقة بينه وبين التراث بشـكل عام والتراث الدينى بشـكل خاص، وهو ينتمى إلى هـذا التراث الدينى المتأصل فى الذات. كان الشـاعر على ثقة بأنّ للمعتقدات الدينية تفاعلًا وتأثيرًا بالغًا فى وجدان الشعب،فاسـتخدم التراث الدينى مع معطياته الثّرة لأنّه يوحـى بمعان كثيرة وعميقة تقدر على تصوير التجارب الإنسـانية وإعادة نبض الحياة إلى الأمّة لما فيه من دلالات تشـّف عن مواقف جديدة تثير فى المجتمع تيّارات الثورة والنضال لتحرير الوطن المسلوب.

مـن الواضح أنّ تفاعل الشـاعر مع التراث الدينى واسـتلهام محاوره الفكرية كان نتيجة ما أصاب هذا الشـعب المقاوم من ظلم وبطش وقهر. فوجد من خلاله ما يحدّ من الصراع الفكرى والسياسـى وأخذ ينهل من مصادره الصافية رغم أنّ السـلطة القامعة تحاول طمس التراث الدينى ومحو هوية الشـعب وسحق شخصيته العريقة وتجريده من المصـادر العقائدية وقطع جذورها. هذا ما دفع الشـاعر نحو الاعتصام بالتراث الدينى والاحتماء به حيث شـكّل هذا المصدر أهمّ مرتكز من المرتكزات الفكرية لديه وساهم فى الاحتفاظ بملامحه وسمات شخصياته.

تنوعـت وتشـعبت هذه الرموز الدينية فـى هذه المجموعة الشـعرية،فمنها توظيف

أسماء الأنبياء والرسل كشخصية النبى(ص)، وإبراهيم(ع)، ويوسف(ع)، وموسى(ع)، وعيسى(ع)، ونوح(ع)، وأيّوب(ع)، ومنها الشخصيات الدينية كـ"مريم"(س)، و"عمّار"، و"بلال"، و"ياسر"، وأخيرًا الحيوانات والطيور والعناصر الطبيعية التى أضفى الشاعر عليها نمطًا من الصبغة الدينية للقداسة والطهر ودعم تجربته وتجسيدها بشكل تامّ،كـ"بُراق"، "أبابيل" و"سجّيل". بناء على ذلک، اصطبغت هذه الرموز الطبيعية بالمثل الدينية ليربط الشاعر بينها وبين واقعه النفسى ويجد فيها كائنًا ينبض بالحياة. فتجاوب معها ومن جرّاء ذلک ينمّ عن عالمه الداخلى وما خامره من هواجس وأحاسيس. نراه يعتمد بشكل كبير على الرموز الدينية لتكون وسيلة طيعة لطرح المواقف الشعرية والتطلعات المستقبلية ليخدم التراث الدينى ويؤصّله وصار توظيف الرمز تعبيرًا عن أزمته الروحية والنفسية.

من نماذج الرمز الدينى ما ورد:

فتوقدت كنعانُ حين استلّه
وهو التمدد رغم أنّ حصاره
قيدٌ، وفک حصاره فى جملة
يا ربِّ قد خذل الشقيقُ شقيقَه
فأغث ليوسفَ، كم تأمر حوله
جئناک من وجع نحبّ مماتنا
وقد ألقوا به فى الجبّ
يا وحدنا
لا يوسف يُؤوى إليه
كى ينجو بنا
يا وحدنا

(ديوان العصف المأكول، ٢٠١٤م: ٩٣)

من المعلوم أنّ الشاعر عمد أثناء المقطوعة إلى الاجتماع بين الرمز والمكونات الشعرية الأخرى وتفجير الطاقات الإيحائية والدلالية، وهذا ناجم عن وعى الشاعر

بدور الحضارة الإسلامية والمعطيات الدينية وما فيها من التجارب الإنسانية والشخصية معًا. نلاحظ من خلال النصّ أنّ الشاعر لم يقف على توظيف هذه التراث توظيفًا بحتًا، بل نراه يستقى معظم محاوره الفكرية منه ليُكسب كلامه نمطًا من المصداقية. استوحى الشاعر قصة يوسف (ع) محاولًا منها التعبير عن رفض الواقع المرير والظلم الذى تعانيه الأمة الإسلامية لما وجد فيها فى أجوائها مجالًا رحبًا للتعبير عن الآلام الإنسانية وشدّة المعاناة حيث لايحتاج المتلقّى إلى فهمها إلى مجهود كبير، فصار رمزًا للشعب الذى يعانى ويكابد مرارة الواقع المحيط به. نجد الشاعر يختار بعض المفردات الشعرية التى تدلّ على حالته النفسية والعاطفية التى تنسجم مع فضاء النصّ الشعرى،منها (الجبّ، تقطّع، الحزن، الوجع والعجاف). تدلّ هذه المصاحبات اللغوية المشبعة بالدلالات النفسية على إثارة داخلية عاطفية فى نفسية المخاطب، ومن ثمّ يمكن أن نقول إنّ اللغة «ليست رداء للفكر أو قالبًا له وإناء يحتويه، وإنّما الفكرُ نفسُه مجسّدًا فى ألفاظ لغوية.» (عيد، ١٩٧٩م: ٤٨)

نموذج آخر:

فتقطّعت أوصال زهرة قدسنا ومقام يوسف يشتكى التسبيلا

يعقوب حزنک، والقميص دموعه لا شىء من وجع العجاف ليتقيه

(الديوان، السابق: ٩٧)

من الواضح عبر هذه الأسطر الشعرية أنّ الشاعر أقام صلات وثيقة بين التراث الدينى وما حلّ بالشعب من مؤامرات ودسائس تفرّده فى ساحة الحرب للإفصاح عن التمزّق والسقوط الذى تعانيه الأمة الإسلامية والعربية. فهذه الرموز الدينية والمعطيات الإسلامية تعدّ رافداً هامًّا من الروافد الدينية التى تقوم عليها البنية الشعرية وتعبّر بصورة واضحة عن تعامل الشاعر مع التراث الدينى والإفصاح عن المقدرة الأدبية والفنية. نجد الشاعر خلال هذه المقطوعة يستخدم توظيف الرموز الدينية بمثابة قناع فعّال لتمثيل ما ألمّ بالشعب الفلسطينى من قهر وزيف الواقع وإيديولوجية السلطة القهرية،ونراه يستمدّ خلال هذه الأسطر الشعرية صورًا تعيد إليه ذلک التوازن النفسى

والعاطفى المنعدم. (الحنصالى، ٢٠٠٥م: ٢٢)

ليس يوسف(ع) – رمز تخاذل الإخوان العرب ضدّ الفلسطينيين– ههنا سوى الفلسطينى الذى اكتظّ كيانه بكره إخوته العرب له، إذ إنهم لا يريدونه بينهم كباقى الإخوة،فلم يطقه أحد منهم. فراحوا يعتدون عليه ويحاولون المساس به جسديًا ومعنويًا. (الربيحات، ٢٠٠٩م: ١٢٦) نجد الشاعر فى تضاعيف المقطوعة يمنح هذه الشخصية المباركة بُعدًا عامًّا ليتجاوز من خلالها عصره ليحقّق نمطًا من قدرة التواصل مع القضايا الراهنة والواقع المعيش. لأنّ هذه المعطيات الفكرية تمثّل الجذور الأساسية لتكوين المجتمع فى مختلف المستويات. وصار رمز يوسف (ع) يحمل نبرة الأمل والرجاء فى خلاص الشعب الفلسطينى من كافّة الأزمات. حاول الشاعر خلال هذا الاستدعاء الدينى الإبانة عن أهمّ المعالم الشخصية ليوسف (ع) وتمثيله فى ثوب غير ثوبه البدائى حيث يواكب شخصيته وما انتابه من أزمات ونكبات بغية التعبير عن هواجسه الدفينة والواقع المعيش.

لاحظنا من خلال المقطوعة أنّ الشاعر استلهم التراث الدينى وما فيه من تدفقات دلالية ولوحات فنية للتعبير عن الزمن الراهن والتفاعل مع الأحداث المحيطة به،إذ نراه يقيم علاقات متشابكة بين هذه الرموز والتفاعل الشعورى الذى انتابه واكتظّت بنية القصيدة بالشعور بالضياع والخذلان المهيمن عليه، فخلق من الرمز وسيلة لنقل هذه الأجواء العاطفية. يمثل اتصال الشاعر بالتراث الدينى والمعطيات الفكرية هموم الشاعر وتجاربه الحديثة تجاه ما ألمّ بالبلد من دسائس وأحداث مرّة عاناها.انتقى الشاعر هذه الشخصيات الدينية للنهوض بالتجارب الإبداعية والتفاعل مع وجدان الشعب وصار هذا التراث أهمّ أداة طيعة لتصوير ما حلّ بالشعب الفلسطينى من ظلم وتعسّف. استثمر الشاعر هذه الشخصية القرآنية للإفصاح عن تلك المعانى والدلالات التى تتماهى مع معاناة الشعب الفلسطينى ليتحدّث عن معاناة أبنائه فى السجون والزنازين.

الرمز التاريخى

اهتمّ الشاعر بالتاريخ واحتفى به لما يشتمل على تجارب إنسانية غنية ونابضة

بالحيوية ويعتبر مصدرًا هامًّا من مصادر الإلهام والإبداع الفكرى. يلجأ الشاعر إلى «معين التاريخ فى عصور التردى والإحباط، إذ يتوجه الفنّان إلى التاريخ بحثًا عن المثل الأعلى،رغبة فى التعويض العاطفى،وربما رهبة من وطأة زمن العجز الذى يحياه، وهربًا إلى أحضان الماضى الذى يبدو مجيدًا أو مثاليًا بالقياس إلى الحاضر.» (زياد، ١٩٩٤م: ٩٨) من ثمّ يمكن للتاريخ وعناصره الزمانية والمكانية أن يشكل ضمن اللغة الشعرية قدرة جمالية رمزية يصوّرها الشاعر من خلال عودته إلى الماضى وإعادة رموزه بحيث تنسجم مع المواقف الحديثة التى ينصهر الماضى فيها لكى يكون المستقبل.

عمد الشاعر إلى استخدام التاريخ ووقائعه وأحداثه ليخلق منها أجواء رحبة ومتسعة تتمتع بحرية أكثر،إذ إنّه لا يستطيع التعبير عن الحقائق وتصوير الظروف الراهنة بلغة مباشرة ومكشوفة خوفًا من تعقيب وعقاب السلطة القامعة.

تنوعت الرموز التاريخية فى هذه المدوّنة الشعرية،فمنها ما تدلّ على المعالم الأثرية والمناطق التاريخيةك"قبّة الصخرة"،"كنعان"، "بابل"، "كعبة"، و"دمشق"، ومنها ما تدلّ على الشخصيات التاريخية، ك"المعتصم"، "دقيانوس"،"فرعون"، "جنكيز"، "أبرهة"، "هتلر"، وقبيلتى "قريظة" و"بنى النضير".

من نماذج هذا الرمز ما يقول:

لكن حلًّا واحدًا متوقع سيموت أبرهة ويفنى الفيل
والذكريات مع اليهود جميلةٌ جدًّا وهل لبنى النضير مثيلُ
وبنو قريظة كلّهم جيراننا والجار مهما جار فهو أصيلُ
ويهود خيبر لا يزال حديثهم يروى فلا يرتاب فيه جهولُ

(الديوان، السابق: ٥٥)

إذا أمعنا النظر خلال هذه المقطوعة الشعرية نجد أنّ الشاعر عمد إلى توظيف التراث التاريخى لخلق نمط من التزامن والالتحام بين الماضى والزمن الراهن.شاع توظيف الرموز التاريخية فى الشعر العربى ولعل السبب يعود إلى الانكسارات والهزائم والقنوط الذى أصيبت بها الشعوب الإسلامية والمحاولات الفاشلة من أجل استعادة أمجاد العرب، إذ «زخرت معظم البلدان العربية تحت الاستعمار والانتداب الأوروبى بعد سقوط

الدولة العثمانية ... بالإضافة إلى زرع الكيان الإسرائيلى فى جسم الأمّة،الذى شكّل وعيًا قوميًا موحدًا لدى شعراءنا الذين أشادوا بالقضية واستخدموا القدس كرمز وقناع من أجل استنهاض الشعوب والدفاع عن الشرف المسلوب.» (عشرى زايد، ٢٠٠٦م: ١٢١)

من البديهى خلال هذه الأسطر الشعرية أنّ الشاعر لم يعمد إلى توظيف التراث التاريخى لتمثيل الأحداث والوقائع الغابرة فحسب،بل أراد من خلال هذا الاستدعاء تعميق التجربة الشعرية والشعورية والمقارنة بين الزمن السابق وما آل إليه أمر الشعب فى العصر الراهن. انطلاقًا من هذا الموقف، نجد نمطاً من التطور الدلالى للرموز التاريخية داخل النسيج الشعرى، فعلى سبيل المثال لم تكن قبيلة بنى قريظة إحدى القبائل العربية القديمة فقط،بل تمّ استخدامها للتعبير عن معنى نقض العهد وعدم الوفاء به، فصارت رمزاً للرفض والتمرد.

نلاحظ عبر الأسطر الشعرية أنّ الشاعر يتعامل مع الموروث التاريخى لينسجم مع الرغبات دون أىّ ضغط جعله يستخدم هذا التراث التليد. نراه ينطلق منه ليعبّر عما يخامره من هواجس دفينة ورغبات لم تتحقق بعدُ. فالرموز التاريخية لها أهمية قصوى فى الحياة الاجتماعية والعملية الإبداعية لدى الشاعر لما يثرى النتاج الأدبى بدلالات وإيحاءات شتّى تكتظّ بالتجارب الإنسانية والشخصية.

تبين لنا من خلال النصّ الشعرى أنّ الشاعر أكسب شعره نمطًا من السمة التاريخية عثورًا على ملاذ آمن ليمكنه من التعبير عن رؤاه ومواقفه الفكرية وهمومه الوطنية خاصة قضية الاحتلال الصهيونى. ينسجم هذا الاستخدام مع طبيعة هذا الواقع من شخصيات ومواقف تاريخية.

يعدّ هذا الاستدعاء التاريخى بمثابة قناع فعّال يستخدمه الشاعر للتعبير عن المعاناة النفسية والروحية، لأنّه لايستطيع نسيان المجد الأصيل للوطن والماضى المشرق،فصارت الشخصيات والرموز التاريخية كجسر التواصل بينه وبين المجتمع الإنسانى الراهن المكبّل بالقيود. فمن ثمّ نرى أنّه يتخذ أبرهة ذات بُعد سلبى، رمزاً للكيان الصهيونى و"بنى قريظة" و"بنى النضير" رمزينِ للصهاينة الجدد والحكّام والأمم المتقاعسة عن

نصرة الشعب الفلسطيني. أراد الشاعر عبر عملية استدعاء الأحداث تصوير ماضى الشعب ومجده المليء بالفخر والسيادة بغية خلق متنفس يخرجه من دائرة الانكسار والانهزام نحو الفضاءات المكتظّة بالفخر والنصر والكرامة.

من الواضح أنّ الشاعر حاول عبر هذه المقطوعة الشعرية إدراج الشخصيات التاريخية فى كوامن اللغة الشعرية التى ترمى إلى إفراغ التاريخ من مغزاه القديم ووضعه فى إطار التقديس الذى يحافظ على الرمزية التاريخية،ليعبر من خلالها عن مشاكل المجتمع الإنسانى وأزماته والتنفيس عن واقعه المأزوم والمهزوم.فمن هنا تعالقت الصورة الرمزية مع تجربة الشاعر وأنتجا دلالة المعاناة والمقاساة.

تبين لنا من خلال هذه الأسطر أنّ الشاعر حاول التعبير عبرها عن التفاعل الفكرى والروحى مع التراث التاريخى الذى يعدّ مصدراً زاخراً وينبوعاً ثرّاً للتجربة الشعرية والشعورية. فالذى لا ريب فيه أنّ الشاعر أراد من خلال هذا الاستدعاء الإبانة عن تجربته الإبداعية التى تتنسجم مع الواقع التاريخى المحيط به.نجد من خلال هذه الرموز والمكونات التاريخية (أبرهة،الفيل،اليهود،بنونضير وبنوقريظة) أنّ الشاعر عمد إلى توظيفها للتعبير عن إيضاح أمره وتسليط الأضواء على ما آل إليه أمر الوطن المسلوب وما يعيشه من ظروف تعسة. تمثل هذه الرموز التاريخية ضرباً من التفاعل الفكرى وتعبّر بصورة واضحة عن المعاناة العاطفية والروحية ومدى تأثر الشاعر بها. فيبدو لنا من خلال النسيج الشعرى أنّ تنامى هذه الرموز يوافق ومواقفَه الفكرية وتجاربه النفسية والذاتية التى اكتسبها عبر تجربة الاحتلال. وليست اليهود بشىء سوى رمز للكيان الصهيونى الذى يعرف بنقض العهد وعدم الالتزام بأى قانون وميثاق قومى ودولى. فلا غرو إذا أكثر الشاعر من توظيف الشخصيات أو الرموز التى تدلّ على معنى النقض والخيانة وعدم الثبات.

انطلاقًا من هذا الموقف، حاول عبر توظيف الشخصيات التاريخية تحقيق هدفين أساسيين: الأول إعطاء تجربته الشعرية والشعورية نمطًا من العراقة والأصالة، والثانى إضفاء دلالات جديدة على هذه الشخصيات ليُكسبها حياة ذات أبعاد حيوية وديناميكية تعكس حالة الشاعر النفسية.

الرموز الطبيعة

تعتبر الطبيعة بكلّ ما فيها من مكونات إحدى المصادر الهامّة للشاعر الفلسطينى الذى استقى منها معظم محاوره الفكرية، وشكلت مفرداتها المختلفة وعناصرها المتضاربة ينبوعًا زاخرًا اعتمد عليه الشاعر وصارت مرتكزًا من المرتكزات الفكرية التى اتكأ عليها للتعبير عن همومه الوطنية والشعبية لترسيم كل ما أصاب هذا الشعب المقاوم من ظلم،وقتل واعتداء على الحقوق. اختار الشاعر الفلسطينى من الرموز الطبيعية ما تلاحم مع واقعه المحيط به وانسجم مع رؤيته ومواقفه الفكرية لاستبطان التجارب الحياتية، فمن ثمّ نجد نمطًا من التوافق والتلاءم بين الدلالة والسياق الشعرى وأصبحت مظاهر الطبيعة رموزًا لحالة الشاعر الشعورية.

إنّ الممعن فى هذه المجموعة الشعرية يجد أنّ مكونات الطبيعة حملت فى طياتها دلالات محددة تضفى على خارطة النص لونًا من ألوان المصداقية والواقعية ولم تبق هذه العناصر فى النص كما هى، بل تنبض بالحركة والديناميكية والحيوية التى تناسب ورؤيةَ الشاعر حيث تعبر عن مواقفه ومشاعره وعواطفه. هذه المكونات الطبيعية تخرج هذه العناصر من معناها المحدد وتسوق بها مساق الإيحاء حيث تُكسب النص الشعرى طاقة إيحائية جديدة تضفى على النص رونقًا وطلاوة وثراء.

من نماذج هذا الرمز لفظة "النخل" أو "النخيل" فى هذه المجموعة الشعرية التى وردت أكثر من عشرين مرّة حيث يقول الشاعر:

فالفجر آتٍ، والحصارُ إلى الفنا   والنصر نصرک، فاغرسيه نخيلًا

(الديوان، السابق:٨)

لم يركع الزيتون فيک لغاصب   يومًا ولا ألقى السلاحَ نخيلُ

(نفسه:٥١)

قصفوا المخيّم، إنَّ كلَّ شظية   ستقيمُ فى وجع الأرامل نخلة

(نفسه:٨٤)

يتبين لنا من خلال النصّ الشعرى أنّ الشاعر عندما يشعر بضيق الواقع المعيش وما انتابه من ضغط نفسى وروحى، ساقه إلى البحث عن آفاق جديدة رحبة تمثّل

واقعه المؤلم تنفسًيا عن الكآبة والسأم،ساعيًا من خلال الترميز السيطرة على الضيق والاستبداد والاستلاب ليتجاوز انتكاسته ويرفض ما ألمّ بالمجتمع الفلسطينى من هزائم وكوارث دامية.يريد الشاعر تأسيس مجتمع إنسانى تمتدّ فيه العزّة والحرية ويُرفض الإجرام وقتل الأبرياء من غير سبب. حاول كسائر الشعراء فى العالم الإسلامى أن يمارس حقّ التحرير والعيش لنفسه ولمجتمعه. فمن هنا كثرت الرموز الطبيعية لديه وفى ذلک وعى بقيمة التراث الطبيعى ومكانته فى تطوير الحاضر، لأنّ رؤية الشاعر ناجمة عن تلک الهوة الفاصلة بين ما هو واقع وبين ما هو مرجوّ حصولُه فى المستقبل.

تبين لنا من خلال هذه المقطوعة الشعرية أنّ المكونات الطبيعية تلعب دوراً هاماً وبارزاً فى التعبير عن الهواجس والمكنونات النفسية وكل ما خامر نفسية الشاعر من الأحداث والوقائع المؤلمة التى ألمّت بمسقط الرأس.

إنّ المتأمل فى هذا النسيج الشعرى يجد أنّ الشاعر استخدم بعض المكونات الطبيعية التى تواكب ومسيرةَ الأحداث الراهنة فى فلسطين المحتلة.وحاول من خلال توظيفها إثراء تجربته الشعرية حيث تعجز اللغة المباشرة التعبير عنها. وبذلک يخلق أجواء عاطفية يساهمها الشاعر والمتلقى معًا. من هذه الرموز الطبيعية لفظة "النخيل" التى تدلّ على المعانى التالية: انطلاق ثورة الشعب وتحقيق الأمل، استمرارية معاناة الإنسان الفلسطينى، المواقف المأساوية، التجذّر والأصالة، المقاومة والصمود، الصبر والشجاعة، الخصب والازدهار، الوطن المحتلّ. من هنا صارت النخلة رمزًا يلتجأ إليها كل من طرده الأعداء ولاحقه. كذلک ترمز لفظة "الزيتون" فى المقطوعة إلى الحبّ القديم والإنسان الفلسطينى الذى هجر أيكه وغادر إلفه وحيدًا. فى الحقيقة يعدّ الزيتون رمزًا للحياة والارتباط بالأرض ثم يتفرع عن المعنى الدينى المعنى الاجتماعى والوطنى ليصير رمزًا للطمأنينة والسلام وديمومة الحياة. فالذى لا ريب فيه أنّ «ما يحثّ شعراء المقاومة على استخدام الزيتون رمزاً مقاوماً هو الحبّ للوطن.» (مقدم متقى، ١٣٩٦: ٢٦٦)

يعبر الزيتون خلال الأسطر الشعرية عن معنى الشهيد وصار رمزًا لكل من ينير الطريق ويزيل الدياجير ونجد الشاعر لم يقتصر على نقل هذه اللفظة فقط، بل عمد إلى توظيف بعض المظاهر الطبيعية داخل النسيج الشعرى كـ"الفجر"، "النخيل"، و"البحر"

[رمز الوطن]، لما تثيره الطبيعة فى نفس المتلقّى من جمال والشوق والحنين.

فى الواقع يختفى صوت الشاعر ومواقفه وراء ستار صفيق من الرموز هروبًا من الواقع المؤلم.وبذلک تُعتبر الرموز أداة طيعة لاقتناص الواقع المحيط بالشاعر من أجل تغييره وإصلاح ما فيه من عيوب ومثالب ليصير نموذجيًّا يليق بالإنسان. ليست النخلة سوى تطابق بين الشاعر وشخصيته ومواقفه تجاه قضية الاحتلال وترسيم آلام الشعب وأشجانه. امتزجت لفظة النخلة بوجدان الشاعر وحملت فى طياتها دلالات عميقة بما يفيضه قلب الشاعر من مشاعر وأحاسيس متداخلة. ارتفعت هذه الرموز إلى مصاف وجدان الشاعر وأصبحت وليدة رؤية الشاعر الخارجية للتوكيد على الأسى والألم الذى تغلغل فى كيانه.

يتبين لنا عبر هذه المجموعة الشعرية أنّ المكونات الطبيعية تنقسم قسمين: صامتة ومتحركة.

أمّا العناصر الصامتة فتتسم بالسكون وعدم الحركة والحيوية وتشتمل على الزهور، الثمرات، فصول السنة والأشجار المختلفة والعناصر المتحركة على خلاف الثابتة تتسم بالحيوية والحركة والديناميكية وتنطوى على الحيوانات والطيور والزواحف.بناء على هذا،تشتمل هذه العناصر الطبيعية برمّتها على الشحنات النفسية التى احتوت على تصورات الشاعر ونهوض تجاربه النفسية، فاختار الشاعر منها حيّها وجامدها كوسيلة للتعبير وانتقاها لتتجاوب مع انفعالاته وتجاربه فى أشكال محسوسة تحقيقًا لهدفه المنشود.

نلاحظ من خلال توظيف هذه العناصر والمكونات الطبيعية أنّ الشاعر لم يستخدمها كمجرد شىء مادى ذات جمود وسكون، بل اتخذها ميدانًا متسعًا لتغذية أفكاره وشحن نفحاته النفسية،فضلًا عمّا تضيفه الجوانب النفسية إلى الرمز من خصائص يلعب فيها النص الشعرى دورًا محوريًا وبارزًا فى إثارة الإيحاء والدلالة. فالرموز الطبيعية فى النصّ الشعرى تتمتع بالحيوية والدينامية التى تمهّد السبيل للشاعر أن يتصرف فيها ويحوّرها من أجل خلق فضاءات جديدة تتسم بلمعات خاطفة عبر الدلالات.

من نماذج الرموز الطبيعية لفظة "الغراب" التى يستخدمها الشاعر حيث يقول:

فتحرّكت غربانهم فى جوّنا   عمياءَ، تذبح فجرَنا المأمولا

أرسلَ الغربانَ ترمى بانتقام   فوق أطفال، نساء،والسُّعارا

(الديوان، السابق: ١٠٩)

صباح النّار يُشعِلُها غرابُ البين فى غدِنا
وفى أحلام من لبّوا
...ومن تركوا عروس البحر للغربان
وامتشقوا —كعادتهم- سيوف القول

(نفسه: ٤٧-٤٦)

من المعلوم خلال هذه الأسطر الشعرية أنّ المحور الأساس الذى تدور حوله الصورة الرمزية هو الكشف عن خيانة الكيان الصهيونى وما قام به من مؤامرات وجرائم بشعة ضد الشعب الفلسطينى العزّل. فلفظة "الغراب" التى ترمز إلى الكيان الصهيونى الغاشم فارقت دلالتها المعهودة إلى دلالة جديدة معاصرة تشير إلى السلب والنهب من القوى المتعسفة. حرص الشاعر من خلال توظيف الرمز على خلق أجواء مناسبة ومؤاتية تمهّد السبيل لإعطاء المتلقى ظروفًا تعبيرية تُشركه فى معاناته الروحية والنفسية.

هذه الرموز الطبيعية تختزن دلالات عميقة حيث تعدّ حقيقة تتجاوز الواقع ويؤدّى توظيفها إلى دلالات أخرى فى الإبداع الجديد. ومن ثمّ تصير واقعًا جديدًا شريطة أن تتوفّر فيها تلك المقدرة الفنية واللغوية التى تضفى عليها أجواء إيحائية. انطلاقًا من هذا الموقف، أتاح توظيف الرمز داخل النسيج الشعرى فرصة مؤاتية ومناسبة للخوض فى التراث بغية العثور على المكونات الفكرية والتراثية التى تنسجم مع المواقف الحاضرة.

الرمز الأدبى

يعدّ التراث الأدبى إحدى المرتكزات الفكرية والمصادر الغنية للشاعر الفلسطينى الحديث الذى استخدمه للإثراء الأدبى والتنوع الثقافى ضمن الحضارة الحديثة ليضفى على أدبه لونًا من العمق والقيمة ليكون هذا التراث الضخم حقلًا خصبًا يناسب مواقفه الفكرية الحديثة فالشاعر لايتمتع بالتراث الأدبى كما هو، بل يستغلّ معطياته الفكرية استغلالاً فنيًا ورمزيًا يناسب مع الحاضر. (فاروقشريف، ١٩٧٦م: ٨٧)

إنّ الممعن فى التراث الأدبى يجد أنّه يكتظّ بالتجارب القيمة والأحداث والشخصيات التى استرعت انتباه الكتاب والأدباء عبر العصور المختلفة، وصار بمثابة الينبوع الثرّ والمعين الزاخر الذى استلهم الشاعر الحديث منه مصادر الفكرة.اتخذ الشاعر المقاوم هذا التراث الأدبى بمثابة أداة طيعة للتعبير عن مواقفه وتجاربه الذاتية والشخصية وكل ما يتلاحم مع رؤاه الحديثة حيث هذه الرموز الأدبية ترتكز على الأزمنة الغابرة وتمثّل الظروف الحديثة فى المجتمع الفلسطينى.

نلاحظ من خلال هذه المجموعة الشعرية أنّ الشاعر استخدم هذه الرموز الأدبية لاستفادة منها لتعرية الواقع الأدبى وإجراء المقارنة بين البارحة واليوم، وتارة يقوم بتحوير طفيف لما ينسجم مع مواقفه تجاه الظروف التعسة التى ألمت بالمجتمع.فعمد إلى توظيف الشخصيات الأدبية كـ"الفرزدق"، و"أبيتمّام" وشخصية "شيلوک" (شخصية يهودى انتهازى استغلالى فى مسرحية "تاجر البندقية" لشكسبير). يتخذ الشاعر هذه الشخصيات أقنعة توجّه بما تخدم تجربته الشعرية المعاصرة، إذ يرى فيها ما يتلاحم مع تجربته الذاتية، فكلاهما قد عانيا من التشريد والسجن والقهر، ولكنهما رغم المصائب والويلات تحمّلا واصطبرا لتحقيق الانتصار والعزّة. يندمج صوت الشاعر مع صوت الشخصيات الواردة تمام الاندماج ويتحدان فى التجارب الشعرية والذاتية. نجد الشاعر يستوحى هذا الموقف النفسى مع ما يحتوى على السمة الوجدانية وحمّلها مشاعره وعواطفه المكبوتة.

من نماذج هذه الرموز الأدبية، "الفرزدق" الذى تمّ ذكره فى القصيدة المعنونة "فرزدقية القسّام" حيث يقول الشاعر المقاوم:

«إنّ الذى سمک السماء بنى لنا»	جيشًا لواحده الجبالُ تُزلزل
جيشٌ بناه لنا العزّ وما بنى	عزُّ السماء فإنّه لا يخذل
جيشٌ ما القدسُ نادت خِلتهم	«موجًا كأنّهم الجرادُ المرسل»

(الديوان، السابق: ١٠٤)

لم ترجع الحقَّ فى يوم مناشدة	«السيف أصدق أنباء من الكتب»

تهذی سجاح ولم تصدق مسیلمة　　ما بعد أحمد یا أهل الصدق من نبیّ

(نفسه: ۱۰۷)

ومن توسّم فیک الخیر کان کمن　　یرجو السلامة فی أنیاب ضِرغام

(نفسه: ۱۵۷)

القدس کم حظیت بأنغام التغنّی والتمنّی والمشاعر والبیان

ویرددون

القدس أولی القبلتینِ

ثم ثالثًا للحرمینِ

. . . عاد شیلوک

(نفسه: ۳۳)

من الواضح خلال النص أنّ الشاعر عمد إلی توظیف الرمز الأدبی لیمنحه بُعدًا حتی یجعله قادرًا علی تجاوز الواقع المریر ویضفی علی الشعر ظلالًا من التجربة الذاتیة التی تصطبغ بالعصریة الجدیدة، إذ یمنحه دلالات جدیدة تنسجم مع روح الواقع. المفردات النصیة (السماء، السیف، الموج وأحمد) تحمل دلالات متعددة ومختلفة داخل الإطار الشعری. فقد تدلّ علی معنی نفسی یستهدف التعبیر عن المشاعر والأحاسیس الباطنیة والإیماءات المختلفة التی نستشفها من خلال النص الشعری. اجتهد الشاعر فی التعبیر عن الشخصیات الأدبیة وأحسن توظیفها للإفصاح عن واقعه النفسی المنهار. یشکّل الإحساس الکامن وراء هذه الرموز بؤرة معاناة الشاعر. وبهذا یتکوّن واقع الشاعر وواقع وطنه اللذینِ یمثّلانِ تجربته الشعریة.

من البدیهی أنّ الشاعر استلهم خلال الأسطر الشعریة التراث الأدبی القدیم –أعنی النقائض بین جریر والفرزدق–حیث یقول الفرزدق:

إنّ الذی سمک السماء بنی لنا　　أحلامنا تَزنُ الجبال رزانة

بیتًا دعائمه أعزّ وأطول　　وتخالُنا جِنًّا، إذا ما نجهلُ

(فاعور، ۱۹۸۷م: ٤۹۱)

لاحظنا عبر هذه الأسطر الشعرية أنّ الشاعر المقاوم عمد إلی توظيف هذه الشخصيات الأدبية ليسقطها علی الواقع المحيط به لتسليط الأضواء علی علاقة الشاعر المعاصر بالسلطة القامعة وينسجم استخدام هذه الشخصيات مع المواقف المشتركة بينهما. تنمّ هذه الشخصيات عن مواقف الشاعر الحديثة وتزيل الستار عن محنة الشاعر وما عانی طيلة الحياة من كبت الحرّيات ورقابة الأنظمة المستبدة القائمة التی تلاحق الشاعر. تعبّر هذه الشخصيات عن نمط من التقابل بين الحاضر والماضی. فالشاعر يلمح عبر هذا التوظيف إلی الإنسان الفلسطينی من أبناء القدس الذی لا يرضح تجاه الظلم والبطش، والذی يساعد المناضلين والأبطال فی ساحة الحرب رغم الإجراءات القعمية للسلطة الحاكمة. ليست هذه الشخصيات سوی إصرار الشعب وإلحاحه علی الحياة والبقا والدفاع عن الوطن والتضحية من أجله والتمسک بالهوية الدينية والإسلامية. وفّق الشاعر فی توظيف الشخصيات الأدبية التی تتسم بالبطولة والشجاعة والوطنية وخوض ساحات الحرب الدامية ضد العدوّ المحتلّ. فهذه الانتكاسات الكثيرة جعلت الشاعر الحديث يبحث عن رموز أدبية وتراثية ليعبّر فی تضاعيفها عن النوازع النفسية ومناجات الذات.

أيضًا تأثر بالموروث الأدبی لدی أبی تمام فی قصيدته عن فتح عموريّة حيث يقول:

السيفُ أصدق أنباء من الكتب		فی حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

(الخطيب التبريزی، ١٩٩٤م: ٣٢)

تشتمل هذه الشخصيات الأدبية علی دلالات وإشعاعات مؤثرة تمكّن الشاعر علی التعبير عن الفكرة والموقف الذی يرمی إليه وهو تصوير السياسة القمعية والممارسات الإجرامية والمجازر البشعة التی قام بها الكيان الصهيونی ضدّ الشعب الفلسطينی.

استلهم الشاعر فی التعبير عن قوة المناضلين فی مواجهة العدوّ الصهيونی "أنياب ضرغام" متأثّرًا بالموروث الفكری لدی المتنبّی حيث يقول:

إذا رأيتَ نيوبَ الليث بارزةً		فلا تظنّن أنّ الليث يبتسمُ

(العكبری، ١٩٣٩م: ٣٤٥)

أصبحت هذه الرموز الأدبية صوت الشاعر المعبّر عن مشاكل عصره والظروف

المختلفة التى ألمت بالمجتمع الإنسانى، فانتقل الشاعر من التعبير عن التراث الأدبى القديم إلى التعبير عن الموروث للإفصاح عن مشاكل الإنسان اليومى، ويريد عبر هذه العملية استلهام التجارب المتماثلة بين الشاعر القديم والشاعر الحديث رغم اختلاف الزمان والمكان. ومن هنا صارت عملية توظيف بؤرة رمزية فى النصّ وتُكسب دلالات متنوعة حسب استدعاءها داخل القصيدة.

الرمز المستوحى من الواقع

يعدّ الواقع بمظاهره المختلفة مادة خصبة وأرضية مؤاتية لبثّ فكرة الدفاع والمقاومة ومصدرًا هامًّا للإلهام الشعرى لدى الشاعر الفلسطينى المقاوم حيث يستغلّ معطياته ويستلهم منه رموزه ليكشف عن مواقفه ورؤاه المختلفة تجاه الواقع المؤلم والمحيط به. اتخذ الشاعر الواقع وعناصره الإبداعية لتصوير مقاساته الفكرية وتجربته الانفعالية والمشاعر والأحاسيس التى تتفاعل داخله. تتعدّى هذه الرموز الواقع عبر ما يضفى عليها الشاعر من دلالات إيحائية وشحنات فكرية وملامح فنية جديدة تجعلها أكثر خصوبة وعمقًا.

يعتبر موضوع المقاومة والصمود من أهمّ المرتكزات الفكرية والمحاور الشعرية التى يتمحور حولها الشعر الفلسطينى الحديث بشكل عام، وفى هذه المجموعة الشعرية بشكل خاص حيث أصبحت صورة نمطية مألوفة فى الشعر الفلسطينى الذى يحمل فكرة استمرارية الحياة، تواصل الأجيال، والنضال من أجل انتزاع الوطن.

تتمحور الرموز المستوحاة من الواقع حول القادة والشهداء والذين بذلوا كل غال وثمين من أجل تحرير الوطن واستمرار الصمود والمقاومة وترأسهم شخصية "عزّالدين القسّام"، "كتائب الأقصى"، وشهداء الانتفاضة كـ"زكيم"، "برهوم"، "أبوشمالة"، و"عطّار"، وشهادتهم رمز يجسد قوة الفعل الثورى وحضوره فى المقاومة الفلسطينية. من الواضح أنّ الشاعر الحديث لم يعمد عبر توظيفها إلى مجرّد نقل أسمائهم، بل أراد من خلال ذلك تخليد ذكرهم وضخّ دم التضحية والحياة فى عروق الشعب الذى تبلور عبر تفاعل الشاعر مع الواقع ومحاولة اختراق الواقع.

إنّ الممعن فى الشعر الفلسطينى المقاوم يجد أنّ صورة الشهيد كرمز للانبعاث تصدر

مــن مصدرين، هما الواقع الاجتماعى والنظرة الأســطورية مــن الحقيقة الدينية حيث ترتفع بالشــهيد فى صور أدبية. فلا تكاد مجموعة من قصائد المقاومة تخلو من مفردات لها علاقة وطيدة بمعانى الشهادة.

استطاع الشاعر عبر توظيف الرموز الواقعية تطوير تجربته الشعرية وتعميقها وتوسيع طاقاته التعبيرية، فخلق من خلال هذه الرموز آفاقًا جديدة تركت بسمات واضحة على ثورته الأدبية.

من أمثلة الرمز الواقعى ما ورد فى الديوان حيث يقول الشاعر:

مــن نخبة القسّــام جنــدِ محمّدٍ ... ومــن الضفــادع همّــةٌ وعقولُ
خنزيرهــم وكبيرهــم بملاجىء ... قسّــامنا، أقبــل بنصــرٍ آنِ
يا نخبة القسّــام عطشى حربُنا ... والغيــث فى غاراتكــم محمولُ
قســامنا يــزن الجبــال رزانة ... وتخالــه جنًّــا إذا مــا يجهــلُ
ولافحًا مــن لظى النيران يُنزله ... على رؤوس العدا صاروخ قسّام

(الديوان، السابق: ١٩٠)

يبدو لنا عبر هذه الأسطر الشعرية أنّ الشاعر المقاوم يرفض الواقع تمامًا ويبذل بكل غــال وثمين من أجل التغيير والتطوير، فيعمل على التحرر بأســره. من هنا صار التعبير عــن الرمز لديه هــو الملاذ الوحيد من أجل نقد الحياة الاجتماعية والسياســية وتعرية زيفها. تحولت الألفاظ عبر النســيج الشــعرى إلى إشارات انفعالية يعبّر كل واحد منها عن التجارب والمواقف الشــعرية والشــعورية. حاول الشاعر عبر هذا الحشد اللغوى، تمثيل هيمنة المناضلين وهوان المعتدين وذلّهم. فخرجت الألفاظ اللغوية داخل النســيج الشــعرى عن دلالاتها الوضعية المعهودة لتحمل دلالات جديدة معاصرة (القسّــام رمز للتضحية والفداء، الضفادع رمز للهوان والذلّ، والخنزير رمز للهوان والعجز).

لا مشادة أنّ كتائب الأقصى وعزّالدين القسّام لعبا دورًا بارزًا ومحوريًا فى بث فكرة المقاومة والذبّ عن الهوية الدينية والإســلامية فى المجتمع الفلســطينى وضخّ الدم فى عروق الشعب. هؤلاء الشخصيات هم الذين تجلت فيهم روح الفداء والتضحية من أجل

التحرير والخلاص من براثن العدو الشرس. نلاحظ فی هذه الأسطر الشعرية أنّ الشاعر عرج على الرمز المستمدّ من الواقع المحيط به وهذا التعريج ظهر مباشرًا دون أیّ تلميح ولا كناية. تعامل الشـاعر مع الواقع وأخذ منه فكـرة الإصرار على المثابرة والصمود، كما أخذ من السـيرة النبوية (ص) رمزًا للمقاومة والتضحية، فجاء الرمز تجسيدًا لمعنى الانبهار وولع الشاعر بقوة هؤلاء المغاوير الشجعان.

نلاحظ من خلال النصّ أنّ لغة النصّ تتسـم بنمط مـن النضال والكفاح والمقاومة لتغمر النص الشعری وتهيمن بدلالاتها على سائر الدلالات المختلفة التی تخلق للقارئ أو المتلقّی فضاءات تعبيرية وإيحائية جديدة.

من الواضح عبر الأسـطر الشـعرية أنّ قيمة اللفظة (القسّـام) الـواردة فی النص الشـعری تهيمن على سـائر الألفاظ اللغوية الرامزة والموحية حيث تفصح عن موقف الشـاعر المقاوم تجاه القوى المستبدة والمتعسفة. فالقسّـام أصبح رمزًا للشاعر وانتمائه الإيديولوجـی، ومن ثمّ وجد الشـاعر فی الرمـز أداة فعالة وطيعـة للتعبير عن حالته الوجدانية والعاطفية.

هنا يتعمق التعامل مع الرمز وصارت الدلالة مشـحونة بالإيحاءات التی تمثّل ثقافة الشاعر وهيمنتها على بنية القصيدة وتلک القدرة الفائقة فی انتقاء الرمز ورصد الواقع. (حشلاف، ٢٠٠٠م: ٣٤) كان توظيف الرموز الواقعية تحقيقًا للرغبة الملحّة لدى الشاعر الفلسطينی فی الانبعاث على مستوى الأمة الإسلامية باستلهام نماذج الصلابة والمثابرة واستمداد الطاقات المختزنة والمختفية فی التجارب الإنسانية. يستمدّ النصّ منها قدرته على إثارة المشاعر والتأثير فی المخاطب، لأنّ الرمز وسيلة ناجعة فی سبيل التعبير عن تجربة الشـاعر وحالاته النفسـية، فلا بدّ للشاعر «أن يلجأ إلى إثارة حالات شبيهة بها فی نفس المتلقّی عن طريق الرمز القائم على تراسل الحواسّ. » (أحمد، ١٩٧٨م: ١٣٥)

يعبّر هذا النمط من الرمز لدى الشاعر الثوری تعبيرًا صارخًا عن الرغبة والاشتياق إلـى الانعتاق من الاحتلال من جانب، وبلورة التجربة الفنية والذاتية وإعادة الصياغة بحيـث تكشـف عن الواقع المعيش من جانـب آخر، إذ وجد فی الرمـز معينًا ثريًا من

الـدلالات غنيًـا بالإيحاءات. حاول الشـاعر من خلال عملية الترميـز أن يفتح آفاقًا جديدة للشعر للعثور على التأويلات والقراءات المختلفة.

الرمز اللونى

يعدّ اللون جزءًا من العالم المحيط بالإنسان الذى يدلّ فى طياته على بعض المضامين والمفاهيم التى تتعلق بثقافة الأمم وكينونة الحياة وبهجتها ويعطى النص قيمة فنية رائعة. لم ينحصر اللون فى دائرته الاصطلاحية، بل تجاوز الحدود المعرفية ليكشف عن الجانب الدلالى الرمزى والتقديسـى. فعلى سـبيل المثال يشـتمل اللون الأبيض على الطهارة والنقاء والأسـود على التشاؤم وقس على هذا. إذن، فالخلفية الرمزية للألوان تنمّ عن دورها الباطنى أو العاطفى وعلاقتها بالمشـاعر والعواطـف الداخلية، فليس اللون إلا تعبيرًا عن العواطف والأحاسـيس المكبوتة ويتطور الإنسان وراء الألوان وفق التغيير الثقافى وما يصيبه من ظروف فكرية مختلفة.

ضربـت عملية انتقـاء الألوان جذورها فـى القدم ونجد أصداءها ضمن الأسـطر الشـعرية فى القصيـدة العربية الحديثة التـى تلعب دورًا هامًا فى بنائها وانسـجامها، وأصبـح اللون فى القصيـدة العربية الحديثة لغة رمزية ولم يقـف عند حدود الدلالات البسـيطة، بل تجاوزها إلى لغة الإشـارة اللونية وقد قصد اللون فيها، وتمّ توظيفها على نحـو جعـل ازدحامًا وكثرة حتى فى القصيدة الواحدة وإلى التوسـع فى توظيف اللون وقلبه. (الزواهرة، ٢٠٠٨م: ١٨)

إنّ الممعن فى هذه المجموعة الشـعرية يجد أنّ اللون الأحمر أكثر استخدامًا وشيوعًا من سـائر الألوان ولم تقتصر معاناة الشـاعر الروحية والجسـدية على البعد النفسـى الشـخصى، بل تجاوزت الحدود الشخصية لتشمل الشـعب الفلسطينى. كان هذا اللون على مقربة من مأسـاة هذا الشـعب زمنيًا ومكانيًا. اتسم معظم القصائد بلون الحماسة والثـورة وألوان المعاناة التى تركت بصمات واضحة على الشـعر الفلسـطينى المقاوم، فضلًا عن النكبات والهزائم التى أصابت هذا الشـعب. ومن هنا سـيطر الشعور بالموت والضياع على معظم القصائد وتأثر الشاعر بهذه المظاهر والوقائع المؤلمة وانعكس ذلك

على عواطفه ومشاعره وتسرّب إلى شعره.

تبلور هذا اللون فى لفظة "الدمّ" التى ترمز إلى الصمود والمقاومة.

من نماذج الترميز اللونى ما ورد فى الديوان حيث يقول الشاعر:

يا دماء الفجر فى
رفح الصَّمود
وفى المعسكر
سيسجّل التاريخ
مجزرة بها
فاحت دماء الطهر
... نصرنا قد هلّا
من نزف
دم الثائرين
تدلّى
من شهقة الأمّ

(الديوان، السابق:١٤٥)

الواقع أنّ الشاعر عبر هذه الأسطر الشعرية امتاح من رؤاه البصرية وما آل إليه الوطن المسلوب من ثورات ونكبات فى تشكيل هذه الصور البصرية المعبّرة عن الرمز اللونى لما له من تأثير عميق فى نفس المتلقّى حيث أصبح الهمّ الإنسانى ضمن اهتماماته، وبذلك حاول أن يطرحه بأسلوب جميل ورشيق دون غموض ولا تكلّف خاصّة فى مواضيع الحياة الإنسانية.

إنّ البؤرة الدلالية (دماء الفجر، رفح، مجزرة، دماء الطهر، دم الثائرين، شهقة الأمّ) علامات تدلّ على ما آل إليه الوطن المسلوب الذى تعرّض لصنوف مختلفة من الإبادة والضيم والضياع حيث ورد هذا الضرب من اللون بشكل عادّى إلى جانب مفردات تعدّ من مرادفات الحمرة كالدم ليدلّ على معنى الشهادة والتضحية بالمقابلة مع سياق الدمار والتخريب. فكل البؤرة الدلالية فى الأسطر الشعرية تنتمى إلى حقل دلالى واحد وهو

الضيـــاع. مما زاد تعميق هــذه الدلالة مجيء الرمز بظلاله اللونية التى تعدّ بنية البؤرة فى النصّ والتى ترتكز عليها الصور الجزئية لتحقيق معنى الضياع.

نلاحظ من خلال هذه الأسطر الشعرية أنّ الشاعر يتخذ من اللون دلالات ورموزًا استقاها من خارطة النصّ، فاللون الأحمر «ارتبط منذ القدم بدلالة غلبت عليه وهى الإيماء إلى لون الدمّ وما يعنى من الصراع والقتل والموت والثورة والحرب.» (الزواهرة، السابق: ٤٥)

أراد الشـــاعر الفلســطينى من توظيف اللون الأحمر تصوير ما حــلّ بالبلد من قتل وصراع محتدم بين الشــعب والكيان الصهيونى وترســيم المجازر المشــينة والممارسات الإرهابية للعدو الشرس من جرّاء تنشيط الأفكار ونقل المشاعر تجاه الواقع الفلسطينى وما يكتنفه من مشــاكل وأزمات. نراه يســتخدم توظيف اللون كتقنية ناجعة فى سياق استنهاض الهمم وإثارة الأحاسيس والمشاعر الدفينة تجاه المجازر الدامية للتدليل على أنّ الحياة الكريمة تنشأ من خلال التضحية والجهد والعمل.

يتبــين لنــا من خلال إمعــان النظر فى هذه المدونة الشــعرية أنّ الشــاعر عمد إلى توظيف الأنماط المختلفة للون لخصوبة النص وإثرائه وللتعبير عن شعره النضالى وإنتاج الــدلالات الحديثة التى تتلائم والقضايا الراهنة فى الوطن المقهور. منها اللون الأبيض للدلالــة على النقاء والطهارة لأبنــاء وطنه الذين يرزحون تحت وطأة الاحتلال، للإبانة عــن معنى الإشــراق والعفّة، واللون الأســود للتعبير عن الكيــان الصهيونى، والدلالة عــن معنى الحزن والقلق، واللــون الأخضر للتعبير عن الخصــب والنماء وتجدد الحياة والخلود، والاســتقرار ومواصلة النضال ضدّ العدو الإسرائيلى، واللون الأصفر للدلالة على الضعف والانكسار واللون الأزرق للدلالة على الأمل بالخلاص من العدو الغاشم وتارة يرمز هذا اللون إلى التقليل من اضطربات وأزمات نفسية.

من النماذج الأخرى للترميز اللونى فى شعر المقاومة ما يقول:

وحدائق الجورى تغرى من غوى   فالخدّ محمرّ الإهاب جميلُ

(الديوان، السابق: ٥٢)

وبساطنا للضيف أحمرُ لونه   وعليه تنحر بالسيف عجول

(نفسه: ٥٣)

وحشائش الأحزان أضحت   فى ثياب حدادها حمراء

(نفسه: ٤٤)

من الواضح خلال هذا النسيج الشعرى أنّ الشاعر اتخذ هذا اللون رمزًا للثورة والانبعاث والانفعال العاطفى معتقدًا بأنّ الموت يمثّل سبيل التخلص والنجاة من براثن العدوّ والدمّ هو السبيل الوحيد للتخلص من الذلّ والخزى وهو سبيل الفوز والانتصار. نـراه يختار لفظة الـدّم بعناية خاصة ولم يرده اعتباطيًا وعفويًا، بل ينتقيه مع الاهتمام بالوظيفة الدلالية لهذا اللون الدالّ على التضحية والثأر والثورة الدموية المنشودة. هذا اللون –أعنى اللون الأحمر– يدلّ فى طياته على معان أخرى كحبّ التآخى والسلام الذى ترسب فى كيان أبناء فلسطين، فالشاعر راح يشير إلى أنّ الإنسان الفلسطينى يحبّ من صميم القلب التصالح والهدوء فى أنحاء العالم وينفر من سفک الدماء وقتل الأبرياء. من هنا نرى سيمح القاسم الذى يستخدم هذا اللون للتعبير عن نفس المعنى حيث يقول:

أمشى فى كفّى/ قصفة زيتون/ وعلى كتفى/نعشى؟ وأنا ... أمشى/ قلبى قمرٌ أحمر

(القاسم، ١٩٩٣م: ج١، ٢٤٧)

أمّا اللون الأحمر عند الشاعر المناضل "فاروق مواسى" هو اللون الذى يعتبر رمزاً للعزة والمجد الخالد الذى لا يحصل إلا على أيدى الشهداء ويقول:

يا أيها البطل الشهيد المفتدى/ والأرض تبنى من دمائک / کل يوم معبداً

(مواسى، ٢٠٠٣م: ١٦٤)

ينسجم توظيف اللون الأحمر مع طبيعة الحياة التى يعيشها الشعب الفلسطينى الذى ذاق مرارة الاحتلال والصراع مع العدوّ الإسرائيلى، و«لعلّ أبرز سمة للأحمر فى الشعر الفلسطينى، ارتباطه بالدم، مما جعله لوناً مخفياً ومقدساً فى آن واحد مما نحا فى كثير من دلالاته منحى التحدى والثورة والصمود.» (عبيات وآخرون، ٢٠١٣م: ٥١)

هذا يدلّ على أنّ الشاعر يعيش واقعه بكل التفاصيل ويشعر بمعاناة الشعب ولم يكن راصدًا أو ملتقطًا للمجتمع الإنسانى، بل تفاعل مع الأحداث ويضيف إليها من خميرته الشعرية ليؤازر الرمز فى استكمال الرؤية التى يريد توصيلها للمتلقّى.

تمتدّ الصياغة الشعرية فی هذه المجموعة الشعرية بعد استحضار اللون الأحمر وحقوله الدلالية لتشمل الفنا والموت وإنتاج تكوينات التضحية والصمود، فالبنية الشعرية تعمّق قيمة التضحية من خلال ترسيم غايتها المنشودة والنبيلة وهی الكرامة والتحرّر.

النتيجة

عمدت هذه الدراسة إلی تحليل الرمز بمستوياته المختلفة فی الشعر الفلسطينی المقاوم وأخيرًا توصّلت إلی النتائج التی نری فيها جانبًا كبيرًا وبارزًا من الأهمية:

١- يعبّر الرمز عن المعادل الموضوعی لتجربة الشاعر الشعرية والشعورية، خاصة فيما يخصّ قضية الاحتلال والمعاناة النفسية والجسدية.

٢- عمد الشاعر الفلسطينی الحديث إلی توظيف الرموز ضمن بنية القصيدة إثر البواعث المختلفة، منها السيكولوجية، الاجتماعية، السياسية، والدينية. ومن هنا سلكت الرموز مسالک شتّی، منها الدين، التاريخ، الطبيعة، والأدب.

٣- تمحور معظم الرموز حول قضية الاحتلال وما يعانی الشعب من مرارة البطش والقهر، فلم تبتعد عن الهموم الوطنية للشاعر الحديث، وهذا يدلّ علی أنّ الصمود والمقاومة يرأس المواضيع الواردة فی عملية الترميز. تمّت تقنية الرمز بصلة وثيقة إلی الظروف السياسية أو اجتماعية أو واقع فرض نفسه علی المجتمع الفلسطينی المعاصر من أجل مواكبة التطور السياسی والاجتماعی الذی يعيشه هذا الشعب.

٤- يمثّل عملية توظيف الرموز مدی قدرة الشاعر لامتلاک القدرات الإبداعية والأدوات الفنية ومدی اندماجه مع الحقيقة والواقع.

٥- استخدم الشاعر الحديث تقنية الترميز للتعبير عن المقاساة الروحية والنفسية والإبانة عن مدی انفعاله مع الواقع وتصوير القضايا الراهنة فی المجتمع الفلسطينی بغية التأثير فی المتلقّی بوصفه جزءًا فاعلاً فی الخطاب الشعری، وإشراكه فی الصور الرمزية وخلق الوجدان المشترک لخدمة الغرض التعبيری.

٦- اتجه الشاعر خلال الترميز إلی توظيف القناع وذلک بتوظيف الشخصيات

التاريخيــة والأدبية ليزداد عدد الرمــوز لديه وحاول عبر التوظيف التماهى مع الأقنعة. رمى من خلال ذلک إلى توظيف الألفاظ الســهلة واللغة الشــعرية البسيطة مبتعدًا عن الكلمــات المغلقة وغير المألوفة، فجاءت ألفاظــه وتراكيبه مألوفة تعبّر عن واقع الحياة المعيشية، ومن هنا تلعب اللغة دورًا محوريًا ورئيسًا فى نقل التجربة الشعورية إلى المتلقّى.

المصادر والمراجع

جودةنصر، عاطف. (۱۹۷۸م). الرمز الشعرى عند الصوفية. ط۱. بيروت: دار الأندل.

الخطيب التبريزى، محمد بن عبدالله. (۱۹۹٤م). شــرح ديوان أبى‌تمام، قــدم له راجى الأسمر. ط۲. بيروت: دار الكتاب العربى.

الحنصالى، سعيد. (۲۰۰٥م). الاستعارات والشعر العربى الحديث. ط۱. المغرب: دار توبقال للنشر والدار البيضاء.

حشلاف، عثمان. (۲۰۰۰م). الرمز والدلالة فى الشعر المغرب العربى المعاصر. الجزائر: منشورات التبين الجاحظية.

ديوان العصف المأكول. (۲۰۱٤م). غزّة: رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين.

الربيحات، عمر أحمد. (۲۰۰۹م). الأثر التوراتى فى شعر محمود درويش. أردن: دار اليازورى.

الزواهرة، ظاهر. (۲۰۰۸م). اللون ودلالاته فى الشعر، الشعر الأردنى نموذجًا. عمان: دار حامد.

زياد، توفيق. (۱۹۹٤م). صور من الأدب الشعبى الفلسطينى. ط۲. عكا: مطبعة أبو رحمون.

العكبرى، أبوالبقاء. (۱۹۳۹م). ديوان أبى‌الطيب المتنبى. مصر: منشورات مصطفى حلبى وأولاده.

عيد، رجاء. (۱۹۷۹م). دراسات فى لغة الشعر رؤية نقدية. الإسكندرية: منشأة المعارف.

عشــرى زايد، على. (۲۰۰٦م). استدعاء الشخصيات التراثية فى الشــعر العربى المعاصر. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

فاروق‌شريف، جلال. (۱۹۷٦م). الشعر العربى الحديث. ط۱. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

فاعور، على. (۱۹۸۷م). شرح ديوان الفرزدق. ط۱. بيروت: دار الكتب العلمية.

القاسم، سميح. (۱۹۹۳م)، الأعمال الكاملة. بيروت: دار القلم.

مواسى، فاروق. (۲۰۰۳م). الأعمال الكاملة. دمشق: مكتبة الريم.

هانى، نصرالله. (۲۰۰٦م). البروج الرمزية (دراسة فى رموز السياب الشخصية والخاصة). الأردن: عالم الكتب الحديثة.

البحوث المنشورة

عبيات، عاطى ومحمود شــكيب أنصارى. (۲۰۱۳م). «اللون ودلالته فى الشعر الفلسطينى المقاوم». مجلة جامعة الخليل للبحوث. مج ۸. العدد ۱. صص ٦۱-٤۷.

مقدم‌متقى، أمير. (۲۰۱۳م). «الزيتون رمز المقاومة فى الشــعر الفلســطينى المعاصر». مجلة أدب عربى. جامعة طهران. العدد ۱. السنة التاسعة. صص ۲۷۸-۲٦۱.